مجلة دراسات في اللّغة العربية وآدابها، نصف سنويّة دوليّة محكّمة،
السنة العاشرة، العدد الثلاثون، خريف وشتاء ١٣٩٨هـ. ش/٢٠٢٠م

صص ١٠٥- ١٢٦ **DOI:**10.22075/lasem.2020.18641.1204

العلاقات الفيزياوية بين المكان والزمان في شعر أدونيس

خديجة هاشمي* وحامد صدقي** وصغرى فلاحتي*** وزهرة ناعمي****

الملخص

يعتمد الشّعراء في نصوصهم الشعرية على المكان والزمان وما يتعلق بهما من علاقات فيزياوية، فالأحداث تقع في الزمن والمكان في بنية حركيّة أو سكونية. العلاقات الفيزياوية بين المكان والزمان في شعر أدونيس أسهمت بشكل فاعل في التعبير عن أحاسيس الشاعر النابعة من موقفه الثوروي والعلاقات هذه تحمل أسساً جمالية ذات أبعاد ودلالات نفسيّة ورمزية حيال حوادث عصره وموطنه.

تحاول هذه المقالة أن تقوم بدراسة كيفيّة حضور العلاقات الفيزياوية بين المكان والزمان ودلالاتها في البناء الشّعريّ عند أدونيس على أساس المنهج النفسي، حيث تحاول أن تربط أبعاد دلالتها بعواطف الشاعر ومشاعره، كما سنتّبع في هذه الدراسة، المنهج الوصفيّ التحليليّ– الإحصائيّ بالإضافة الاستشهاد بنماذج شعريّة دالّة على استعمال هذه الظاهرة ودلالاتها في الصور الشعرية عند أدونيس.

أهمّ ما يلفت الانتباه في صوره الشعريةالفيزياوية أنّ الشاعر يرغب كثيراً ما إلى استعمال الحركة الزمكانية في نصّه الشّعري؛ إذ تتّفق ديناميكيةالمكان والزمان مع رؤيته الثورية في التغيير والطموح إلى تحقّق أحلامه في بناء مستقبل زاهر وعالم جديد. ويفصح الشاعر عن اتجاهه الوثني من خلال توظيف صور الحركة الزمكانية كما يتّضح من وراء صور الحركة الزمانية والمكانية رأيه حول الشّعر؛إذ يعتقد أنّ الشّعر ديناميكية وبثّ الحركة ورفض السكون فيلجأ الشاعر إلى صور الحركة المكانية والسكون الزماني في تصوير فقدان الحبّ، كما اعتمد على توظيف صور الجمودالزمانيوالمكاني، لتحريض الموقف الثّوري والمجال الحيويّ والتجدّد على نحو أعمق وأكثر حرارة وفاعلية ويستعرض الشاعر في توظيف الحركة الزمانية والسكون المكاني إدراك عبثيةالوجود وتحطيم الزمانالنجومي والغلبة على سطوةالزمنالموضوعي في جمودالفضاء.

كلمات مفتاحيّة: الشعر العربي الحديث، الفيزياء، المكان، الزمان، أدونيس.

---

* –طالبة الدكتوراه في قسم اللغةالعربيةوآدابها، جامعة الخوارزمي،إيران.(الكاتبة المسؤولة) khadijehashemi1365@gmail.com

** – أستاذ في قسم اللغة العربيّة وآدابها، جامعة الخوارزمي، طهران، إيران.

*** – أستاذة مشاركة في قسم اللغة العربيّة وآدابها، جامعة الخوارزمي، طهران، إيران.

**** – أستاذة مساعدة في قسم اللغة العربيّة وآدابها، جامعة الخوارزمي، طهران، إيران.

تاريخ الوصول: ١٣٩٨/٠٦/١٧هـ.ش= ٢٠١٩/٠٩/٠٨م تاريخ القبول: ١٣٩٩/٠٩/٢٦ هـ.ش= ٢٠٢٠/٠٦/١٠م

المقدمة

يلعب المكان دوراً فاعلاً في النصّ الشّعري لما له من دلالات اجتماعيّة وسياسيّة ويكشف عن المشاعر النفسيّة التي تجول في ذات الشاعر، فيعدّ المكان من أبرز عناصر التشكيل الجمالي لإغناء الصّور الشّعرية في النصّ الأدبي،كما يُعتبر عنصر الزمن من أهمّ العناصر في بناء النص الأدبي والزمن في التجربة الأدبية نوعان: الموضوعي والذي تقدّم الأحداث فيه بصورة خطية نحومية من الماضي إلى الحاضر ثمّ المستقبل كما يتناول النص الأدبي الزّمن النفسي الذي يُعني بالإدراک النفسي ويرتبط بالحالات الشّعورية والنّفسيّة عند الشاعر.

تبدو العلاقات بين المكان والزمان من جهة الحركة والسكون في النصّ الشعري عند أدونيس ونسمّى هذه العلاقات، العلاقات الفيزياوية؛ إذ تبحث حركة المكان في علم الفيزياء كما يرسم الشاعر انتقال الزمان الموضوعي من الماضي إلى الحاضر والمستقبل وهذا التّصور الزّمني ينبعث عن مفهوم حركة الزمن الموضوعي التي يُعني بها علم الفيزياء.

ما يعنينا في هذا البحث هو الحركة والسكون في المكان والزمان في الشعر؛ والحركة عند الفيزياويين تعني الانتقال من موضع إلى موضع والبحث عن الحركة الزمانية في هذه الدراسة هو التراوح بين الوحدات الزمانية الموضوعية: الماضي، والحاضر، والمستقبل. هذا وقد اهتم أدونيس في العديد من أشعاره بظاهرة العلاقة الفيزياوية بين المكان والزمان اهتماماً بالغاً، ولذلك فإنّ دراسة"العلاقة الفيزياوية بين المكان والزمان في شعر أدونيس" ضرورية جدّاً. تحاول هذه الدراسة أنْ تجيب عن **سؤالين** مهمين:

١. ما هي العلاقات الفيزياوية بين المكان والزمان في شعر أدونيس؟

٢. أية علاقات فيزياوية بين المكان والزمان قد سادت في شعر أدونيس ولماذا؟

في الردّ على هذين السوالين، يمكن أن يقال:

١.يبدو أنّ الشاعر يأتي بتقنية العلاقات الفيزياوية بين المكان والزمان في صيغ متنوّعة ومنها: حركة المكان والزمان، حركة المكان وسكون الزمان، سكون المكان والزمان، سكون المكان وحركة الزمان

٢. يمكن سيادة حركة المكان والزمان في شعر أدونيس؛ إذ تتلاءم هذه الحركة مع مشاعره وتفكيره في كسر رتابة الجمود والموت الذي يعمّ كلّ شيء في مجتمعه.

تهتمّ هذه المقالة بدراسة "العلاقات الفيزياوية بين المكان والزمان في شعر أدونيس"، لذلك تمّ استخراج القصائد التي ترتبط بهذه الظاهرة "العلاقات الفيزياوية بين المكان والزمان" من ديوان الشاعر بعد التطرّق إلى "مفهوم المكان والزمن والحركة والعلاقات الفيزياوية" في التمهيد، وذلك اعتماداً على المنهج النفسي حين تبحث عن مشاعره النفسيّة تجاه حوداث عصره ومجتمعه أو الحالة الشعوريّة المسيطرة على ذات الشاعر، مستخدمة المنهج الوصفي التحليلي- الإحصائي في تبيين كيفية تجلّى العلاقات الفيزياوية بين المكان والزمان ودلالاتها في شعره.

هناك دراسات ظهرت في السنوات الأخيرة فى مجال دراسة المكان والزمان، منها:

١. مقالة دراسة دور الأمكنة في الديكور الشعري لمظفر النواب، محمد مهدى روشن، مجلة إضاءات نقدية، السنة السابعة، العدد ١٥، ربيع ١٣٩٦ش، وتدور هذه الدراسة حول الأبعاد الدلالية في توظيف المكان في شعر مظفر النواب ومنها؛ البعد السياسي، والنفسي، والوطني، الديني، الاجتماعي وغيره.

٢. مقالة التقاطب المكاني في قصائد محمود درويش الحديثة، رقية رستم پور ملكي وفاطمة شيرزاده، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد التاسع، ربيع ١٣٩١هـ.ش، تقوم هذه المقالة بدراسة تقاطبات الأمكنة ومنها؛ الوطن/المنفى، هنا/هناك، العربي/الغربي، الانقطاع/الاتصال.

٣.كتاب "اتجاهات الشعر العربي المعاصر" يقوم الباحث فيه بدراسة موقف الشعراء المعاصرين من الزمن، ويتطرّق إلى الزمن في شعر أدونيس بشكل عابر، ويبيّن أنّ الشاعر كثيرا ما يلجأ إلى الزمن النفسي في تبيين تجاربه الباطنية وآماله والزمن عنده يستسلم للإرادة الإنسانية ويستعمل الشاعر أحيانا الزمن الموضوعي في مشاهده الشعرية.

٤. مقالة "الفضاء الزمكاني في القرية عند الشعراء الرواد"، أمل عبد الجبار كريم الشرع واياس كاظم شنباره، مجلة جامعة بابل، العلوم الانسانية، المجلد ٢٢، العدد ٦، ٢٠١٤، تبحث هذه المقالة عن تجربة المكان والزمان عند الشعراء الروّاد؛ نازك الملائكة، البياتي، بدر شاكر السياب.

٥. مقالة الزمن النفسي في مقدمات المعلقات العشر، أمل حسن طاهر، مجلة الآداب، العدد ١١٠، ٢٠١٤م، يحاول الباحث في هذه المقالة أن يدرس كيفية تعامل الشاعر مع الزمن الطبيعي وفقا لما يجري في ذاته من أحاسيس الفرح والحزن والحب والألم والحرمان.

٦. مقالة مفهوم زمان در شعر شاملو و أدونيس، زليخا حاجى پور وآخرون، مجله شعر پژوهى (بوستان ادب)، دانشگاه شيراز. سال ٦. العدد ١، ١٣٩٣هـ.ش، قد حفلت هذه الدراسة بالبحث عن مفهوم الزمان في شعر أدونيس وشاملو بشكل مقارن، وتبيّن أن الشاعر لايقف عند ثغور الزمان الموضوعي، بل يتجاوز ويتمرّد عليه عبر رحلاته في الماضي وذكرياته وخلق الأسطورة واللجوء إلى الحب في الزمن النفسي ولاتبحث هذه الدراسة عن الزمن الموضوعي.

يتضح من عناوين هذه الدّراسات وموضوعاتها، أنّ كلّا منها لا تقوم بالتفحّص عن الزمان والمكان في شعر أدونيس بصورة متمركزة،كما يبين أنّ العلاقات الفيزياوية بين المكان والزمان لم تُدرس في شعر أيّ شاعر، لذا تُعتبر هذه الدّراسة التي تهدف إلى كشف العلاقات الفيزياوية بين المكان والزمان ودلالاتها في أشعار أدونيس محاولة جديدة في دراسة المكان والزمان.

المكان والزمان في العمل الأدبي

يعدّ المكان ظاهرة متميّزة في الشعر العربي الحديث والمعاصر، ويلعب دوراً بارزاً في التشكيل الجمالي للنصوص الأدبيّة[١]،كما يشغل الزمن مساحة واسعة في العمل الأدبي؛ لأنّ الزمان يعدّ «من العناصر المهمة في صياغة الأحداث وبنيتها وتناميها، فكلّ شيء في هذا الكون قائم على الزمن ومرتبط به، وكلّ إنسان يحس به ويشعر مما جعل ذلك يؤثر سلباً أو ايجاباً في نتاج الأديب أو الشاعر، وقد يبيّن في كثير من الأحيان إحساس الشاعر وحالته النفسية والشعورية في لحظة ما»[٢] والزمن نوعان: نفسي ويخضع لحركة النفس ومجرى الأحداث[٣] وخارجى أو موضوعي يكون له أبعاده الموضوعية الممكنة القياس ويعني به الفيزياء.[٤]

العلاقات الفيزياوية بين المكان والزمان

علاقة المكان بالزمن تؤدي دوراً بارزاً في البناء الشعري، إذ «ترتبط ملامح المكان وعناصره المختلفة بطابع الزمن وتحولاته وأحداثه الطبيعية والتاريخية والسياسية؛ لأنّ تأثيرات تلك الأحداث والتحولات

---

[١]–طالبي قره قشلاقي، **تجليّات المكان، أبعاده ودلالاته في شعر "نزار قباني"**، ص ٤٤٢.

[٢]– طاهر، **الزمن النفسي في مقدمات المعلقات العشر**، ص ٥٢٩.

[٣]– **المصدر نفسه**، ص ٥٣٠.

[٤]– صدام ومعتز، **مستويات بناء الزمن في شعر بشار بن برد**، ص ٢٦٧.

الزمانية تسهم بشكل كبير في إعادة ترتيب هيئة المكان وتلوينه، في ضوء العلاقة المتشابكة بين الإنسان والزمان والمكان»[١] فتكون العلاقات بين الزمان والمكان متلازمة والعلاقة الفيزياوية تعدّ نوع من هده العلاقات التي تكون بينهما من جهة الحركة والسكون؛ والحركة عند الفيزياويين تعني تغيير الشيء من موضع إلى موضع إلى آخر[٢] كما تقوم هذه الدراسة بتحليل الحركة في الزمن الموضوعي وهو الزمن الذي يهتمّ به في علم الفيزياء ويمكن تقسيم هذا الزمن على الماضي والحاضر والمستقبل[٣].

المكان والزمان في شعر أدونيس

١. حركة الزمان والمكان

الحركة في المكان هي الانتقال من موضع إلى موضع أي الابتعاد من مكان للاقتراب من مكان آخر، وكل حركة في المكان تتناول الحركة في الزمان؛ إذ نرى الشخص الذي ينتقل من مكان إلى مكان، لا بد له في انتقاله هذا، من استغراق زمن معين ومن ثم، سير الزمن من لحظة إلى لحظة أخرى. ويتمّ تحديد حركة الزمن عبر التروح في فترات زمينة معينة بدءاً من الماضي مرورا بالحاضر والاستشراف الآتي. وحركة الزمان والمكان تعدّ نوعاً من العلاقات الفيزياوية التي شكّلت مساحة واسعة من أشعار أدونيس؛ ويمنح نصه الشعري ايحاء متنوعاً للتخلّص من الجمود؛ في قصيدة "تنبّأ أيها الأعمى" ينشد:

وَها هُوَ الْوَقْتُ / تَجُرُّهُ أُمُّهُ الشَّمْسُ، وَحَوْلَها سَلاسِلُ / وَدَواليبُ تَحْرُثُ الأَرْضَ / وَالْفَضاءُ قَنديلٌ مُطفأٌ[٤]

يقدّم الشاعر نصّه الشعري من خلال الوقفة الوصفية التي عكست الحركة النجومية للزمان على أساس الحركة الوضعية للأرض والشاعر يريد من خلاله الإفصاح بقوة عما يكابده من ألم وتوجّع جرّاء مضى الزمان والنظر إلى الحياة ببصيرة أعمق للحياة؛ فأدرك الشاعر عبثية الوجود ومحدودية الزمن النجومى وفقدان كل شيء. ويقول الشاعر في مكان آخر:

---

[١] – صلاح، **دلالة المكان في الشعر اليمني المعاصر من منظور القراءة والتأويل**، ص ٢٠٥.

٦– رزنيك وآخرون، **فيزيك**، ص ١٧.

[٣]– جندارى، **الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا**، ص ٤٥.

[٤] – أدونيس، **الأعمال الشعرية** ، مج٦، ص ١٠.

الْوداعَ لِأَهْلِ السَّماوةِ، لِلشَّمْسِ تَصْنَعُ مِنْ / نَخْلِهِمْ خياماً لِأَحِبّائها / الْوداعَ لأَقْمارِ تِلْك الْخِيامِ، لِعُشّاقِها / وَلِناقاتِهِمْ / إنَّهُ الْوَقْتُ كى يَخْرِجَ الْوَقْتُ مِنْ قَيْدِهِ / إنَّهُ الْوَقْتُ كي يَنْزِلَ الْكَوْنُ ضيفاً عَلَينا / وَيَفيءَ لأَحْلامِنا وَلأسرارِنا[١]

قد كنّى الشاعر بالتحول الزمني والمكاني عن تغيير المكان وتحول التاريخ إلى آفاق أبعد وأوسع، فيريد ابداع التاريخ وتجديده؛ وينهض الشاعر ليخلّص الإنسان من معاناته وعذاباته، إذ عاش موطنه في هذه الحقبة قلق الحرب؛ فيلحّ الشاعر لانعتاق موطنه وتاريخه من القيود ويعيد إليه حريته لبناء قيم رؤيوية جديدة، بحيث تُظهر حركة الأفعال (يخرج، ينزل) وما توحي من دلالات خلاص وحرية، أمل الشاعر من أجل التحرر من قيود الواقع الذي يحدّ من حريته.

في قصيدة "الموت" يعالج الشاعر فلسفة الحياة والموت؛

لَمْ يَفْنِ بالنّارِ وَلكنّهُ / عادَ بها لِلمَنْشأ الأوَّلِ / للزَّمَنِ المُقْبِلِ /كالشَّمْسِ في خُطورِها الأوَّلِ / تأفَلُ عَنْ أجْفانِنا / وَهي وَراءِ الشَّمْسِ لَمْ تأفَلْ[٢]

تكتسب مفرداته الشعرية رؤية متميّزة وإيقاعاً دائرياً متموّجاً؛ فالنار في النص المذكور مستلهماً من قصة إبراهيم الخليل رمز للحياة نقيضاً لمفهومه الأصلي، الموت؛ فالشاعر ينطلق نحو الموت الذي يمنح الحياة؛ والزمن يعود إلى الأول ويتّجه نحو المستقبل؛ فيعتقد الشاعر هنا بأنّ «الموت لا يعنى النهاية، بل هو بداية للمستقبل»[٣]، وقد أسهم التعبير"عادَ بها لِلمَنْشأ الأوَّلِ" في منح اللوحة الحركة المكانية، فيتجاوز الشاعر الموت؛ لأنّ إيمانه بالإنسان أقوى حتّى وإن كان يصيب الموت[٤]؛ فيدور الزمن ولا يتوقف عن الحركة ويقترن الموت مع الحياة في دورة الطبيعة بحيث تبدو دورته في حالة دينامية دائما وتوحي بولادة دائمة حتى في الموت.

١- أدونيس، **الكتاب I**، ص ٧٥.

٢- أدونيس، **الأعمال الشعرية**، مج١، ص ٤٠.

٣- يحياوي،**شعر أدونيس "البنية والدلالة"**، ص ١٦٠.

٤- **المصدر نفسه**، ص ١٥٩.

وفي قصيدة "أحلم وأطيع آية الشمس"، يستعين الشاعر في تبيين أفكاره بالأسطورة "إيزيس" وهي «الإلهة الأم العظيمة في الديانات المصرية القديمة ومن أشهر الآلهات المصريات وكان لها باع كبير في السحر»[١].

أترُكْ لإيزيس أنْ تفتحَ قَميصَك أيُّها الْوَقْتُ / أترُكْ لأصابِعِها أنْ ترتقَ هواءك الَّذي تَنْفَتِقُ أطرافُه، وَأدْخِلْني في طُقُوسِك / نَحْنُ شَبيهانِ في الإثْمِ / الشَّهْوَةُ مُحيطٌ وَالْجَسَدُ أكثَرُ مِمّا يُطيقُ الْكلامَ / وَها هُوَ الْفَضاءُ سِحْرٌ أبْيَضُ[٢]

يقرن الشاعر الوقت مع أسطورة إيزيس، ربّة الخصب، ليرمز بالتجول الزمني إلى التجدد والحياة ودوامها في كل الأزمنة، إذ يرى المصريون أن إيزيس «أبو الماضي والحاضر والمستقبل»[٣] ويعيد الشاعر في توظيف أسطورة إيزيس، مرة أخرى إلى سطح الأرض بتكريم الجسد والأنوثة، وتكون عودته البداية الرئيسة للهبوط الرؤيائي إلى أعماق العالم الشهواني، فضلا عن كونه، يمثل هبوطه إلى الأرض إمكانية التعالي في أقاليم العالم الروحاني والسماوي؛ إذ يقرّ بأن السماء في هبوط الشاعر إلى الأرض تصير سحراً أبيض، فالشاعر في سيره وصيرورته في العالم الأدنى والأسفل يجعل الأرض أكثر اقترابا من السماء؛ ويتجلى تشابه الشاعر وإيزيس في صفة الإثم لتجاوزهما الشهوات الجنسية وما تتطلبه الغرائز.

والشاعر يفصح عن اتجاهه الوثني في نصّه الشعري في قطعة شعرية "تاريخ يتمزّق في جسد المرأة" من خلال توظيف حركة المكان والزمان؛

آه ما أجْمَلَ الْحَياةَ وسُحْقاً لِجَنَّتِها المرجّأة[٤]

انعكس في النص هذا، حنين الشاعر وشوقه إلى الحياة في العالم المادي، بالإضافة إلى انزجاره من الحياة الآخروية، فصار يصدر المقطع المذكور عن رؤية وثنية شاملة للشاعر. فهو يركّز، من وراء الحركة المكانية في التعبير "سُحْقاً لِجَنَّتِها المرجّأة"، على العالم المادي بدلا من التركيز على عالم الآخرة؛ كما أنّ

---

[١] – أبو علي، **الرمز والأسطورة في شعر أدونيس**، ص ٢٠٨.

[٢] – أدونيس، **الأعمال الشعرية**، مج ٤، ص ٢٤٢.

[٣] – أبو علي، **الرمز والأسطورة في شعر أدونيس**،ص ٢٠٧.

[٤] – أدونيس، **الأعمال الشعرية** ، مج ٦، ص ٥٠٥.

هذا التعبير "سُحْقاً لِجَنَّتِها المرجّأة" يبيّن حركة الزمان؛ إذ يذعن الشاعر بنفوره من الجنّة في المستقبل وما يرغب إليه أدونيس هو «أن تكون الأرض موطن غناء وجنس وخمرة، وليس مكانا للصلاة والعبادة»[١]؛ لأنّه يعتقد أن المؤمن يفقد الحياة أملاً بالجنة في الحياة الآخرة، فالمستقبل يظلل على حياة المؤمن في الحاضر ويبيدها.

الشاعر إنّما يريد الهروب عن الزمان الماضى والراهن حتّى ولو بصورة خيالية؛

لَسْتُ مِنْ هُنا أو هُنالك / مِنْ ذلك الْعالَمِ الْمُنْطَفئ / قَدمايَ تَجيئانِ مِنْ طُرُقٍ / لَمْ تَجِئْ / أتَقَدَّمُ في ظُلُماتِ الْمَكانْ / تُرْجماناً وَضوْءاً لِهذا الزَّمانِ[٢]

بهذا الهروب يتحوّل المكان إلى رمز للمستقبل الذي يختفي وراء التعبير "قَدمايَ تَجيئانِ مِنْ طُرُقٍ/ لَمْ تَجِئْ"، متطلّعاً إلى تغيير العالم، وتجاوز الواقع وعزل الماضي من أجل حالة الركود والجمود التي يعيش فيها "مِنْ ذلك الْعالَمِ الْمُنْطَفئ" وموت الراهن الذي لم يعد ملائما للحياة، ومنح ولادة جديدة في سياق الحركة المكانية والزمانية والتى تستجيب لنوع خاص من الجدل بين فضاء الذاكرة البالية وفضاء الحلم المستقبلي. فتعمل آليات الحلم على فتح عين الشاعر في آفاق استشرافية، قادرة على اختراق حاجز الزمان والمكان والنفاذ إلى عمق المجهول، انتقالاً من الرؤية في حدودها الممكنة في الحاضر إلى الرؤيا في حدودها اللامتناهية في المستقبل.يهدف الشاعر أحيانا حلّ لغز التصورات الدينية في العلاقة بين العالم الأعلى والأدنى؛

هُوَ ذا أُعانِقُ حيرَتي / وَأرَى إليّ زَمَني يَدُورُ كأنَّهُ / كرةٌ مِنْ الْوَرَقِ الْعَماءِ / يَجرّها حبْرٌ عَماءْ / الْأرْضُ وارِثَة السَّماءِ؟ خُرافَةٌ / ما أفْقَرَ الأرضَ الّتي تَرِثُ السَّماءْ[٣]

في النص المذكور تمتزج الأرض بالسماء في سياق حركي؛ فيعلن الشاعر، أنّ الأرض ضحية الممارسات الدينية السائدة في عصره، ذاكراً حركة الزمن التي تتحوّل في الكون الشعري عند الشاعر إلى كرة من الورق العماء والذي يرسم الطبيعة الأرضية مقترنة بالظروف المأساوية والعشوائية المهيمنة عليها،

٢- نعوم طنّوس، **السؤال الديني في شعر أدونيس**، ص ١٧٦.

- أدونيس، **الكتاب I**، ص١٠١.[٢]

- أدونيس، **الكتاب III**، ص ٢٨١. [٣]

رافضا على نحو عميق ومؤثر سلطة العالم السماوي الغيبي. حرص الشاعر أن تكون علاقته بالتحرك والتغيير علاقة مميزة؛

وَأنا الْوَقْتُ – انْتَظَرْتُ الشَّمْسَ في مُخْدَعٍ / جَوّابٍ، أنا الصّاروخُ: هذا الْكَوْنُ موجٌ / وَأنا الْمُبْحِرُ، واللُّجُّ الّذي أَقْتَحِمُ الآنَ / وَأسْتَرْسِلُ في أحشائهِ / السَّكرَى، رهانْ[١]

إن الحركة هي التي تعطي التشابه بين الشاعر والوقت والمهم عند الشاعر هو تحوّل هذا الكون العظيم إلى تيار شعري مفعم بالحيوية والديناميكية ويجعل نفسه في مركز هذه الحركة، إذ «إن الذات هي مركز الوجود عند الفنان، ومنها ينطلق، ويبحث عن صداها وماهيتها في نفسه والآخرين»[٢]، فيختار الشاعر التوحد بين نفسه والمبحر والصاروخ واللجّ؛ فإن الشاعر يتحرك في أفق السيرورة ورفض السكون حتى يشّجع كل الطبيعة وما فيها بالصيرورة والتحول، حيث يكون من الممكن التحوّل والتجدّد في الحدود اللامتناهية في العالم والكشف في عالم المجهولات، حتى يقدر الشاعر على التنبئ بما سيأتي في المستقبل؛ فيرفض الشاعر الواقع الذي يعيشه ويبيّن إيمانه بالانسان وقدرته على صنع المستقبل.

ويخرج الشاعر من فضاء ضيّق إلى إطار متّسع وأرحب حينما يتحدّث عن الحبّ؛ إذ يرى أن الحب كطائر ؛

حُبٌّ /طائرٌ يَفِرُّ مِنْ يَدِ الْيَوْمِ[٣]

الحب يفلت الذات، ويحررها من قيود الرؤية الجامدة والمحدّدة للعالم بوصفه رمزاً لإمكانيّة الخلق والتجدّد، أو الولادة الدائمة والمستمرة من وراء الحركة الزمانية والمكانية في تعبيره " طائرٌ يفِرُّ مِنْ يَدِ الْيَوْمِ."

٢. سكون الزمان وحركة المكان

قد ينتاب الشاعر شعور بتباطئ حركة الزمن الموضوعي انطلاقاً من تجربته النفسية؛ إذ فرض الزمن ثقله عليه، كأنّ الزّمن قد توقّف عن الحركة عند الشاعر رغم الحركة التي يتعرّض لها المكان، و«أما سكون الزمن

---

[١]– أدونيس، **الكتابI**، ص ١١١.

[٢]– هشام محمد، **التجربة الشعرية العربية دراسة ابستمولوجية للسيرة الذاتية لشعراء الحديثة**، ص ١٠٨."

[٣]– أدونيس، **فهرس الأعمال الريح**، ص١٩٧.

فلا نعني به سوى جمود لحظاته في مخيلة النص الشعري»[١]. في النص التالي من قصيدة "مرثية الحلاج" نرى نفور الشاعر من عدم التغيير والتحول فى الزمان؛

الزَّمَنُ اسْتَلَقَى عَلَى يَديكْ / والنّارُ في عَينَيكْ / مُجْتاحَةً تَمْتَدُّ لِلسَّماءْ / يا كوْكباً يَطْلَعُ مِنْ بغدادْ / مُحَمَّلاً بِالشِّعرِ والميلادْ / يا ريشةً مَسمومةً خضراءْ[٢]

ربّما يعود التجمّد الزمني لحجم المأساة وثقل الوضع القائم آنذاك، فكأنّ النار في ثورتها مع الزمان في التعبير "والنّارُ في عَينَيك / مُجْتاحَةً تَمْتَدُّ لِلسَّماءِ"، في حركة مكانية تصعيدية تتمرّد على أيّة سلطة تهدّد وجودها، إذ تبدو رغبة الشاعر في ديمومة الحياة والانبعاث في صورة النار عند توصيف موت الحلاج، إلى جانب هذا يكشف الشاعر عن إحساسه بمدى فاعلية المكان وبيان المنزلة الرفيعة للسماء في شمول وايصال رسالته الثورية؛ «فالحلاج الثائر المجد في كل الأزمنة يحضر من هذا العصر مخترقاً حاجز الزمان ليشعل الثورة وينتصف للمظلومين»[٣]. تلعب أسطورة سيزيف دوراً هامّاً في تبيين الصور الشعرية عند أدونيس في قصيدة "الموسيقي – I"؛

يَبْدُو أنَّ الصَّخْرَةَ ، صَخْرَةُ حُبّي تاهَتْ / في صَحراءِ عُرُوقي / هَلْ أسْألُ: مَنْ يَتَدَحْرِجُ فيها أوْ مَنْ يَصْعَدُ؟ لكنْ / ما سأكونُ / وَما سَتَكونُ السّاعَةُ حينَ يَجيءُ الْحُبُّ / إليَّ قَتيلاً / في شِكلِ مهاةٍ ضاقَتْ حَتّى الصّحراءُ عليها[٤]

نلاحظ أيضاً أنّ الشاعر اعتمد التشخيص الاستعاري، باعتماده على أدوات الطبيعة الصامتة، منها؛ الصخرة والصحراء في تصوير فقدان الحبّ بكلّ ما ينطوي عليه من مرارة ومعاناة، ليسترجع من خلالها فضاءً مفعماً بالرومانسية ؛ فيحاول التركيز على عمق ارتباط الغرام بالفضاء الزمني؛ إذ سيتوقف الزمن عن الحركة في اللحظة التي يموت الحبّ في حياته "وَما سَتَكونُ السّاعَةُ حينَ يَجيءُ الْحُبُّ / إليَّ قَتيلاً / في شِكلِ مهاةٍ ضاقَتْ حَتّى الصّحراءُ عليها" وأمّا حركة المكان أسهمت في تبيين حبّه الضائع وما يهيمن على ذاته

---

[١] – صلاح، **دلالة المكان في الشعر اليمني المعاصر من منظور القراءة والتأويل**، ص١٩١.

[٢] – أدونيس، **الأعمال الشعرية** ، مج ١، ص ٤١٩.

٣– الضاوي، **كاركرد سنت در شعر معاصر عرب**، ص٦٢.

[٤] – أدونيس، **الأعمال الشعرية**، مج ٦، ص ٢٦٨.

من المعاناة والألم؛ إذ يقرّ الشاعر مستلهماً من أسطورة سيزيف أنّ حركة صخرة الحبّ تكون عبثا وتنتهي بالفشل في الصعود وانحدارها، "يَبْدُو أنَّ الصَّخْرَةَ، صَخْرَةُ حُبّي تاهَتْ / في صَحراءِ عُرُوقي / هَلْ أسْألُ: مَنْ يَتَدَحْرِجُ فيها أوْ مَنْ يَصْعَدُ؟"ولايستسلم الشاعر أمام الركود في حياته؛ فيأتي بالاستفهامات دون أن يطلب لها الإجابة؛ ويؤكد أن الشاعر مازال يبحث عن الحب الجديد والتغنّى بجماله والقدرة على تغيير هذا الواقع نحو الأفضل. الصورة الاستعارية التشخيصية للجسد تؤدي الدور ذاته في تبنّي صورة الحياة المتحركة في المكان في قصيدة "كيمياء النرجس"؛

خَلَفَ الْمَرايا /جَسدٌ يَفْتَحُ الطَّرِيقْ / لأقاليمهِ الجَديدة/ جَسَدٌ يَبْدَأُ الْحَرِيقْ /في رِكابِ الْعُصُورْ /ماحياً نَجْمَةَ الطَّرِيقْ /بَيْنَ إيقاعِه وَالقَصيدةْ / عابراً آخرَ الْجُسُورْ[١]

يوحي الجسد بدلالة الطبيعة التي تعتمد الحركة والطغيان بكل حيويته، فالجسد يفتح الطريق التي أفضت إلى التغيير والتحول في التراث وتنتهى إلى استجلاء حلمه في كشف العوالم الجديدة في السكون الزمني، فيرفض ضوء العالم بنور التراث محتفلاً بالحديث والجسد بحركته التي كان مطارداً فيها بحريق السكوت الزمني المتراكم؛ يحلم بالمستقبل الذي يكشف نهاية العالم الجديد. قد كان الشاعر يكسر صمت العصور وجمودها بالنار في الأرض والسماء وكل ما يواجهه في الفضاء في قصيدة "الحضور"؛

أفْتَحُ باباً عَلى الأرضِ، أُشْعِلُ نارَ الْحُضُورْ / في الْغُيومِ التي تَتَعاكسُ أوْ تَتَوالى / في الْمُحيطِ وَأمواجِهِ الْعاشِقَةْ / في الْجِبالِ وغاباتِها، في الصُّخُورْ / خالقاً لِلَّيالي الْحُبالى / وَطناً مِنْ رَمادِ الْجُذُورْ / مِنْ حُقُولِ الأغاني، مِنَ الرَّعْدِ والصّاعِقَةْ / حارقاً مُومياءَ الْعُصُور[٢]

النص هذا، يحضن الحركة بين الأعلى والأسفل؛ يفتح الشاعر باباً في الأرض، هي المكان الواسع الذي يجرى فيها كل الأمور ويريد الفرج والإنشراح فيها، ثم يبحث عن نار في السماء، من الرعد والبرق، ثم يصف الغيوم بالتكثيف والتراكم لتبيين الحركة الواسعة، كما يوسّع ثغور هذه الحركة؛ إذ تتجاوز الحركة من الغيوم إلى المحيط والجبال والغابات والصخور؛ ويستحضر الشاعر أسطورة الفينيق بطريقة غير مباشرة ويطلب خلق الوطن لليالي من رماد النار المشتعلة ، لما تمنح الليالي من دلالات متنوعة من خوف وتأمل

---

١ - **المصدر نفسه**، مج ٢، ص ٣٧٧.

٢ - **المصدر نفسه**، مج ١، ص ٢٨٩.

وهو الوقت الذي يناسب الخيال ويوافق تطلعات الشاعر من أجل التحرر من الظروف السيئة السائدة آنذاك، فالنار وهيمنتها تتراوح بين كونها باعثةً للإضاءة وبين كونها باعثةً للانبعاث والتجدد في جمود العصور.

زَمَنٌ يَتأكلُ وَيَحْدَودَبُ، ما أشْقَى الإنسانَ الذي لا يَرَى أمامَهُ، كلَّما تَقَدَّم، إلّا الْقَديم[١]

في قصيدة "تنبّأ أيها الأعمى" يرسم الشاعر المنظر الذي يتوقف فيه الزمان في الماضي ليبيّن تسلسل الظروف السيئة التي حلّت بموطنه، ورَغمَ الانتقال والحركة المكانية "لا يَرَى أمامَهُ، كلَّ ما تَقَدَّم"، فيبيّن رتابة الجمود الذي يعمّ كلّ شيء ومصاحبة الناس لشعور الأزمة الدائم، وإلى جانب هذا، فهو يحثّ على كسر الزمن التكراري وتحطيمه رافضا الموقف المأساوي من خلال الصورة الشعرية وتجلياتها، إذ إنّ نمط الحياة في المجتمع العربي يسير برتابة وعلى وتيرة واحدة ولا يتطلّع الناس إلى الخلاص من الأنظمة القمعية، كما لا يحاول الناس التحرّر من القيود الدينية.

٣. سكون المكان والزمان

إنّ شعورا بثقل حركة الزمن والمكان يتردّد أحياناً في التجربة الشعرية عند الشاعر، إذ نرى ظاهرة اجترار الزمن وانعدام حركته. «إنّ الزمن الشعري لا يسير وفق أنساق الزمن الموضوعي المحددة...»[٢] كما يمكن أن يوحي المكان عند الشاعر بالجمود لتبيين غاية التأزم التي يعيش فيها الشاعر. وهو يستعمل ظاهرة سكون المكان والزمان في قصيدة "المدينة" انطلاقاً من تجربة شعورية تجسّد الواقع المرير الذي يعيشه موطنه؛

لِلدُّخانِ إنْحَنَتْ لِلدُّخانْ / هي عَوامَةُ الرّياحِ / وَجْهُها ضِفْدَعٌ وَلَها إصْبَعانْ / لنْ تمسَّ قرونَ الربيعْ / لَنْ تُحِسَّ بِنَهْرِ الصَّباحِ / إنَّها بِرْكةُ الْقَطيعْ / وَجْهُها واحدٌ وَلَها سرّتانْ[٣]

الدخان رمز الثقافة المادية في المدينة والذي يعتمد الشاعر في تبيينه على اسلوب وصف تضاف إليها قدرة تحطيمية ؛ فتتمثّل بأنها هي عوامة الرياح التي تحوّل ذاك المكان من الحالة الطبيعية إلى الحالة الحيوانية دائما؛ إذ تتحرّك عوامة الرياح دائماً وتتجمّد العصور"لنْ تمسَّ قرونَ الربيعْ "؛ ولا يأمل أن يثير رياح التغيير

---

[١] – **المصدر نفسه**، مج ٦، ص ١٨٩.

[٢] – صلاح، **دلالة المكان في الشعر اليمني المعاصر من منظور القراءة والتأويل**، ص ٢١٠.

[٣] – أدونيس، **الأعمال الشعرية** ، مج ١، ص ٣٥٣.

نحو الأفضل المأمول في المستقبل، فيرمز الشاعر من خلال هذا المنظر السوداوي إلى الحقبة الزمانية الصعبة التي تسود موطنه؛ إذ التحولات المأساوية في المدينة تحيل إلى أسباب الحزن والرعب، والشاعر يسترجع هده الحظات في مكان محدّد ولا يتجاوز حدود الواقع الوطني في سياق السكوت المكاني " لَنْ تُحِسَّ بِنَهْرِ الصَّباحِ "ليوضّح لنا عمق المأساة والمرارة وشعوره بالخيبة.

في النص التالي من قصيدة "النبوءة" يرفض الشاعر الحضارة العربية في المنظر الشعري الذي كان يقوم على الثبات والسكون المكاني والزماني؛ فيرسم إبادة التراث الماضي وما يوحي دلالة بالتخلف كشيخ الرمل والجرادة ويلغي الممارسات الدينية السابقة، إذ لاحت بشارة الشاعر عن مجيء الشمس التي لا ترتبط بالدين،

لِلْوَطَنِ الْمَحْفُورِ في حَياتِنا كالْقَبْرِ / لِلْوَطَنِ الْمُخَدّرِ الْمَقْتُولِ / نَجيءُ مِنْ سُباتِنا الألفي، مِنْ تاريخِنا الْمَشْلُولِ / شَمْسٌ بِلا عبادة / تَقْتُلُ شَيخَ الرَّمْلِ والْجَرادَةِ[١]

فالشاعر يريد استئصال ما يمت إلى الحضارة القديمة للعرب بالإضافة إلى احتفائه برؤية متقدّمة في الحضارة العربية؛ فيرى أنّ التغيير يبدأ بإعادة قراءة الحضارة العربية، وبإعادة فهمها من جديد، فقد عاش المجتمع العربي سلسلة طويلة من الجمود وانعدام القيم؛

الدُّروبُ أقدامٌ لا تَعْرِفُ غَيرَ السَّلاسَلِ وَالزَّمَنُ ساقانِ / مشلولتانِ[٢]

المكان هنا يتّسم بضيق مستمرّ ونأيٍ عن دواعي الفرح والسرور،؛ فالشاعر في القصيدة "شرقٌ بلا شَرْق" يتحدّث عن دور التاريخ الذي يتوقف ولا يمكن افتتاح دروب جديدة للتغيير والحركة، فالناس ضحية تمارس عليهم كل ضروب القمع والإبادة طوال العصور حتى ينتهي مصيرهم إلى الإخفاق، وخيبة الأمل، والسقوط في عالم اليأس والقنوط.

يكشف الشاعر في قصيدة "ورقة بلا رقم" عن ثقل المكان وانكساره وقربه من الموت في سياق الجمود الزمني في رؤيته تشاؤمية لهذا الكون؛ الْأَرْضُ نائمَةٌ عَلى أنْقاضِها / والْوَقْتُ يُوغِلُ في السُّباتِ / لِمَ لا أرَى غَيْرَ الْفُراتْ؟[١]

---

١ - **المصدر نفسه**، مج ٢، ص ٣٩٨.

٢ - أدونيس، **الكتاب III**، ص ٣٧٠.

الألفاظ الدالة على الأنقاض والسكون، السبات، ونائمة، تشترك كلها في الإيحاء بقلق الشاعر وإحساسه العميق بمأساة الواقع المعيش الذى يفوح بالسكوت والموت، مما يجعل أن يثير الشاعر في المتلقى مشاعر الحركة والتحرك في تعبيره "لِمَ لا أرَى غَيْرَ الْفُراتْ" للخلاص من أزمة الواقع التي يعاني فيها الانسان حالة السكون والثبات.

٤. سكون المكان و حركة الزمان

رغم أنّ حركة الزمان والمكان عناصر متلازمة في العالم الخارجي إلّا أن المكان يمكن أحياناً أن يكون ثابتاً في وعي الشاعر؛ ففي الصور الشعرية «ليس بالضرورة أن تتناغم حركة المكان والزمان تناغماً كلياً، أو أن تتطابق في الرؤية والصورة تطابقاً تاما...»[٢]. وعندما ننعم النّظر في الصّور الفيزياوية الّتي يأتي بها أدونيس، نلاحظ أنّ الشّاعر قد ارتكز أحياناً على سكون المكان وحركة الزمان؛

«شَجَرٌ يُثْمِرُ التَّحَوُّلَ وَالْهِجْرَةَ في الضَّوْءِ جالسٌ في فلسطينَ وَأغْصانُهُ نَوافذُ / أصْغَينا لِأبعادِهِ قَرَأنا مَعَهُ نَجْمَةَ الأساطيرِ / جُنْدٌ وَقَضاةٌ يُدَحْرِجُونَ عظاماً وَرُؤوساً، وَآمِنونَ كما يَرْقِدُ / حُلْمٌ يُهَجَّرُونَ إلى التِّيهِ، يُجَرُّونَ إلى التِّيهِ... / كيفَ نَبْدَأُ؟»[٣]

الشاعر في قطعة "مقدمة لتاريخ ملوك الطوائف" الشعرية، يستند إلى رمز شجرة التحوّل والهجرة عبر الزمن من الماضي إلى المستقبل[٤]، في هذه الصورة يتخلّى الوقت عن مفهومه النجومي والطبيعي، ليتحوّل إلى كائن حي يقصد الاشارة إلى المستقبل، ونلاحظ الحركة الزمانية في لوحته هذه، فنجمة الأساطير والشجر، تكشف عن الحركة والتحول الذي ينتظره الشاعر في المستقبل أمام سكونية المكان (فلسطين) وظلامها. وفي موضع آخر ينشد أدونيس؛

يَتَّكيءُ السِّجْنُ عَلَى قَمْلَتَيْنِ / إحداهما حُبْلَى وَتِلك الَّتي ماتَتْ[٥]

---

[١] – أدونيس، **الكتاب II**، ص ٣٠١.

[٢] . صلاح، **دلالة المكان في الشعر اليمني المعاصر من منظور القراءة والتأويل**، ص ١٩٢.

[٣] – أدونيس، **الأعمال الشعرية**، مج ٢، ص ٤٢١.

[٤] – ساعي، **حركة الشعر العربي الحديث من خلال اعلامه في سورية**، ص ١٤٩.

[٥] – أدونيس، **الأعمال الشعرية**، مج ١، ص ١١٠.

وظّف الشاعر كلمة السجن وارتكازه على قملتين لتوصيف الدنيا وتجسيد مرارة الحياة ودوام هذه الظروف التي تحيط بالشاعر والذي يبين أنّ الدنيا تتكئ على قملتين لتتّضح دورة الحياة ومضي الزمان، والموت الذي يتربّص بالناس؛ إذ تتولّد فئة من النّاس كلّ يوم، كما تموت الفئة الأخرى يومياً وكنّى الشاعر عن الناس بالقملة، ليوضّح لنا شدة نقمته على الأضرار التي يُحدثها الناس في العالم. ويعكس الشاعر في النص التالي من قصيدة "مرثية الأيام الحاضرة" اليأس والركود و التمرد؛

اللَّيلُ يَتَخَثَّرُ وَفَوْقَ جُثَثِ الْعصافيرِ تَدِبُّ طُفُولةُ النّهارِ[١]

العصافير تعدّ رمزاً للجمود بدل الحيوية والحركة؛ إذ تضاف جثث إلى العصافير والتعبير "جثث العصافير" يوحي بالانكسار الذي انتهت إليه الظروف الراهنة، في سياق تحوّل الأمل إلى يأس واستسلام في الفضاء المغطّى بالسكون واللاحركية "فَوْقَ جُثَثِ الْعصافيرِ" يدبّ الزمان. كما أنّ عبارة "طفولة النهار" توحي بتباطئ حركة الزمن على نحو أعمق ومؤثر؛ بالاضافة إلى ذلك اقتران الليل في النص المذكور بالفعل "يتخثر" يؤكد الظلام والخيبة إزاء التغيير والثورة في واقع المجتمع العربي.

يمكن ملاحظة أن الشاعر، يعاني أحيانا من القلق الوجودي الذي يتحرّك الزمان نحوه؛ أي حقيقة الموت التي ينزعج منها الشاعر؛ لِمَن يَفْتَحُ الْفَجْرُ شَباك عَيْني / يَحْفَرُ فَوْقَ ضُلُوعي طَريقَهُ / لِمَ الْمَوْتُ يَنْبِضُ مِلءَ كياني / وَيَرْبِطُ عُمْري بِخَفْقِ الثَّواني؟ / عَرَفْتُ؛ دَمي رَحِمٌ لِلزَّمانِ / وفي شَفَتي مَخاضُ الْحَقيقَةِ[٢]

في قصيدة "المخاض" يتغطّى الفضاء بالجمود والركود بعد دورة الحياة في تعبيره "لِمَ الْمَوْتُ يَنْبِضُ مِلءَ كياني "؛ وجسد الشاعر يصبح إطاراً جغرافياً يعطي شعورا بالسكون والجمود؛ إذ يرى الشاعر أن الموت يعمّ كل وجوده كما يمكننا القول إن الزمان يتوقّف عن الحركة؛ إذ يدرك الشاعر أن الموت يلاحقه، وأن عامل الزمن يطارده ولا بدّ أن يناله، فإنّ الموت نهاية الحياة والشاعر يدّعي أنّه صادق في كلامه إذ يأتي بالتعبير "في شَفَتي مَخاضُ الْحَقيقَةِ"؛ فيظهر الشاعر هنا عجزه عن سطوة الزمان وبثّ مشاعره المضطربة وإبانة الحسرة التي سيطرت على نفسه لإختتام دورة الحياة. إنّ الشاعر أحيانا يفقد ثقته بالتراث الماضي؛

هُوَ ذا أرْسِمُ شَكلَ السَّحَرِ الطِّفْلِ عَلى كفِّ / الزَّمان / قارئاً صَمْتَ الْمَكانْ[١]

١- **المصدر نفسه**، ص ٢٢١.

٢- **المصدر نفسه**، ص ٦٩.

استولى على ذات الشاعر اليأس ولم يعد ينظر إلى أفق الماضي بتفاؤل وأمل نتيجة التدهور والتجمد الذي أصيب به الموطن العربي بعامة، ويتجلى موقفه الفكري «في عدم الولاء للماضي، بل التوجه إلى المستقبل»[٢]، فيرسم الزمان بصورة طفل؛ لأنه يرفض الماضي والعصور الخوالي، عندئذ يتجه تدريجيا إلى معالم الحلم المستقبل في سكون الفضاء؛ فقد ظل يطمح من وراءه التحول وتحقق أمل الخلاص في المستقبل، فتكتسب صورة الطفل دورها الفاعل في رؤية التاريخ، والتعبير عن مصير الموطن العربي عند أدونيس.

الدراسة الاحصائية

المخطط البياني الآتي يبيّن تدرّج العلاقات الفيزياوية بين المكان والزمان في شعر أدونيس:

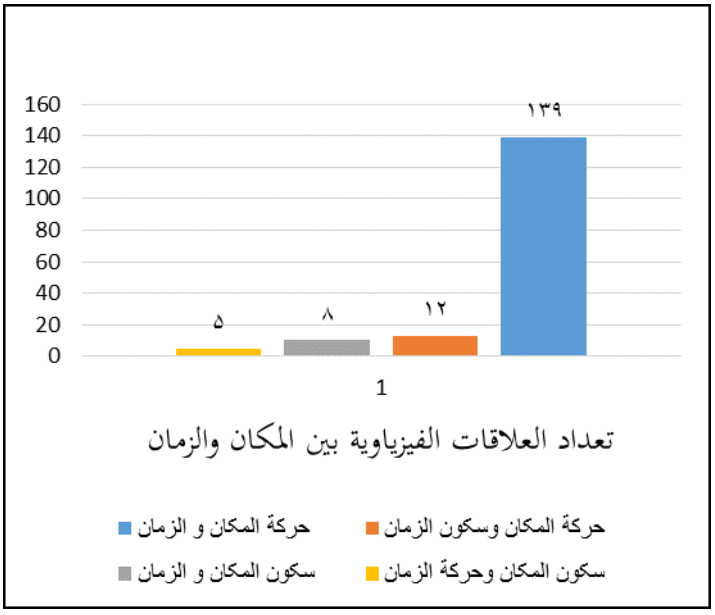

١ – أدونيس، **الكتاب "I "**، ص ١١١.

٢ – يحياوي، **شعر أدونيس "البنية والدلالة"**، ص ٥٨.

تعتبر "حركة المكان والزمان" أكثر ورودا؛ إذ وردت مائة وتسع وثلاثين مرة، وبعدها تجيء علاقة "حركة المكان وسكون الزمان" إثنتي عشرة مرة، أمّا "سكون المكان والزمان" فيقع ثمانى مرّات، وعلاقة "سكون المكان وحركة الزمان" تجيء في المرتبة الأخيرة وقد تكرّرت خمس مرات.

ما يثير الانتباه هو غلبة الحركة المكانية والزمانية على سائر العلاقات الفيزياوية بين المكان والزمان في السياق الشعري عند أدونيس واختيار هذه العلاقة في الموقع الأول يكون طلباً للحرية بشكلٍ جديد؛ «فهو يبحث عن النور في المستقبل وأبوابه مغلقة عليه وعلى الناس كلهم. سفره من نوع غريب عبر القصائد وأناشيدها يتخطّى الزمان والمكان ويحطم الحواجز والحدود ويستقر في أودية من الحلم»[١]. فالشاعر يتمسك بالحب ليتجاوز الموقف الثابت والمراوحة من الإطار المكاني المحدّد إلى فضاء أرحب والصعود إلى اللازمان واللامكان. والنقطة الأخرى التي يمكن استنتاجها هي أن الشاعر كثيراً ما يلجأ إلى الأسطورة في ترسيم صوره الحركية بعد أن عانى الجمود وهدفه في توظيف الأسطورة «هو النزعة إلى التغيير»[٢] وأدونيس هو الشاعر الذي حاول الدخول إلى شعاب التاريخ وابداعه، رفضاً للحاضر ومحاولاً الإحاطة بالمستقبل؛ فأدونيس«يخلق العالم المستقبلي المبني على التجديد»[٣].

راح الشاعر يوظف الصور التي تعبر تلقائيا من مشاعر التحرك و رفض الجمود؛ فرؤية الشاعر للشعر هي«الرؤية التي تتبنّى الحركيّة في كل شيء وترفض قيم الثّبات»[٤] وأحياناً يمنح الشاعر الحركة والتجول في إطار الزمن والفضاء بأبعادهما الواسعة موحياً بموقفه الوثني في رفض عالم الآخرة واتّصال السماء والعالم الغيبي بالأرض؛ لأن الشاعر يرى «أنهم لا يعيشون الحياة على الأرض بقدر ما يؤجلونها إلى الآخرة. وبذلك تصبح الممارسة الدينية (وليس الدين بحد ذاته) أفيوناً للفقراء يبنون بوساطته الفراديس الخيالية»[٥].

تجلّى السكون الزماني والحركة المكانية في آثاره مرات؛ فالشاعر يكتفي أحيانا بالإطار الزمني المعتمد على الأفعال الدالة على الزمن الماضي. ورغم ما للزمان في الواقع من جمود وسكون، فإنّ الشاعر لا

١- سپهرى نيا، **الاتجاه الصوفي في شعر أدونيس وسهراب سپهرى**، ص ١١٦.

٢- روشنفكر وآخرون، **أنوثة الأسطورة في شعر أدونيس**، ص ١٩٢.

٣- يحياوي، **شعر أدونيس "البنية والدلالة"**، ص ٦١.

٤- يحياوي، **من القصيدة إلى الكتابة**، ص ٣٠٤.

٥- نعوم طنّوس، **السؤال الديني في شعر أدونيس**، ص ١٥١.

يتوقف عن كشف العوالم الجديدة «إنه ينام لكي يعرف ويكتشف، ولكي ينام لا يحتاج إلى مكان بل يحتاج إلى طريق ...»[١] وموقف الشاعر من الحب الضائع، وما يعطيه من حزن وألم، يسبّب أن يمثّل له الزمان كاللحظات المفعمة بالموت، حيث يتوقّف فيها الزمان عن الحركة؛ فيحسّ المتلقي بخفقات قلب الشاعر وأزماته الانفعالية عند وصف شعوره بفقدان الحب والجمود الزمني؛ فهو في حالة مضطربة يرسم أحاسيسه الوجدانية عند فقدان الحب بالتركيز على البعد الزماني ويسترجع اللحظات التي قد مرّت عليه ببطء؛ لأنه يجد الخلاص والأمل في الحب ويكشف به المجهولات، معتقدا أنّ الحياة تنبعث من هذا الحب؛ والحبّ هو «مفتاح للوصول إلى الحياة الخالدة الباقية...»[٢]. صور الجمود الزماني والمكاني تأتي في المرتبة الثالثة وكلها تشهد على رتابة يتنفسها الشاعر مع الأيام وموطنه؛ فيستدعي الشاعر من خلالها الانطلاق نحو الفضاء الحيوي للطبيعة والحياة متطلعاً إلى تغيير العالم، ورفض الحياة المقيّدة بالضياع والجمود. وقد وظّف الشاعر الحركة الزمانية والسكون المكاني في المرتبة الأخيرة، محاولاً من خلالها كسر الزمن الخطي والنجومي بفعل التداعيات الحرة في حركة الزمن واستشرافاته في الفضاء الذي يتّسم بالسكون والثبات والفراغ؛ «ليس للزمن وجود ذاتي عند أدونيس، وإنما هو مجال وساحة لدينامية الإنسان. إنّ أدونيس لا يبحث عن زمن ضائع وإنما يلاحق زمنا لم يولد بعد»[٣]، كما يستخدم صورا رائعة لحركة الزمان وسكون المكان ليوضّح أحياناً عبثية الحياة ومحدودية الزمن النجومي كي يكون شاهدا على أنّ الموت يقضي على كل الأشياء في دورة الزمان ويملأ المكان بالمشاهد الجامدة في سكونيته وقد يئس الشاعر من حالة الركود والدمار التي عاش فيها التراث الماضي العربي؛ وفي عدّة أطوار من حياته الشعرية تكون علاقة الشاعر «مع الماضي متصلة بمبدأي الرفض والتحول المتلازمين»[٤]، فهو يحاول تجسيد الصور بطريقة أكثر حيوية ويشحنها بشعور عميق بإمكانية الخلاص في المستقبل ويبعث فيها روح التطلع والأمل، فيعانق المستقبل تمشياً مع ذاته التي ترفض الجمود.

---

[١]– هنداوي، **دراسة السّرياليّة في شعر أدونيس**، ص ٦٧.

[٢] –.أحمدى، محمد رضا وآخرون، **جماليات توظيف المرأة والحب في القصيدة الأدونيسية بين النظرتين الصوفية والسوريالية، ٢٠**.

[٣٣]– عباس، **اتجاهات الشعر العربي المعاصر**، ص ٨٢.

[٤] . **المصدر نفسه**، ص ١١٧.

الخاتمة

١. قدّم الشاعر تجربة شعرية ناضجة وعميقة من العلاقات الفيزياوية بين المكان والزمان في شعره مستجيبا لحالاته الشعورية وأحاسيسه الذاتية ولقد أجاد في توظيف العلاقات الفيزياوية بين المكان والزمان في شعره بأشكالها المختلفة، معبرا من خلالها عن همومه الشخصية والوطنية بأسلوب جميل، ومنها: حركة المكان والزمان، حركة المكان وسكون الزمان، سكون المكان والزمان، سكون المكان وحركة الزمان.

٢. يلاحظ التفوق الواضح للحركة المكانية والزمانية في شعر أدونيس؛ إذ يبيّن الشاعر من وراء الحركة الزمانية والمكانية رغبته في العالم الرؤيوي؛ حيث تطمئنّ ذاته القلقة إلى ما تحلم به مستعينا بالحب، فتعيش روحه خارج الفضاء الزمني والمكاني المألوف؛ لأنّ الحبّ عند الشاعر يستطيع أن يحطّم قيود العالم المحدّدة بالتسلسل الزماني والإطار المكاني، فيداهم الشاعر الحاضر ويستدعى المستقبل كمنقذ يخلصه من عالم مؤلم. ويظل الشاعر متفائلاً بمستقبل الخلاص متّخذاً الحركة الزمانية والمكانية إطاراً متضمناً رفض عالم الآخرة وطرحه محتفلاً بحياة الأرض، كما يريد بهذه الصور تبيين موقفه حول الشعر؛ فوظّف صوراً تميل إلى العمق لإيصال موقفه الفكري الذي يتلخّص في أن الشعر رفض الثبات والجمود. ومحدودية الزمان النجومي تقود الشاعر إلى عدّ الحياة زائفة، ولزوم اكتشاف العالم الجديد والغلبة على سلطة الزمن الموضوعي في سلسلة من الصور الحركة المكانية والزمانية كما يبيّن من ورائهما ما يستجيب لحالته الانفعالية حينما يئس من عصره ومجتمعه؛ إذ يريد الشاعر الخروج من الفضاء المشحون بالجمود والسكون إلى الجو الذي يسود فيه التفاؤل والأمل، ما يستطيع بهما اختراق واقعه المأساوي متطلعا إلى التجدد والخلق والانتصار.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر العربية

الكتب

١. أدونيس، علي أحمد سعيد، **الأعمال الشعرية الكاملة، مج٨–١**، ط١، بيروت، لبنان: دار الساقى، ٢٠١٢.

٢.....، **الثابت والمتحول: بحث في الابداع والاتباع عند العرب**، ج ١، ط ١، بيروت: دار العودة، ١٩٨٣م.

٣.....، **الكتاب "أمس المكان الآنIII وII وI"**، ط ١، بيروت، لبنان: دار الساقى، ٢٠٠٢.

٤..... **فهرس أعمال الريح**، بيروت: دار النهار، ١٩٩٨.

٥. جنداري، ابراهيم، **الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا**، ط١، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠١.

٦. ساعي، احمد بسام، **حركة الشعر العربي الحديث من خلال اعلامه في سورية**، دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٦م.

٧. صلاح، عبدالله زيد، **دلالة المكان في الشعر اليمني المعاصر من منظور القراءة والتأويل**، ط١، عمان: دار مجد لاوي، ٢٠١٤م.

٨. عباس، إحسان، **اتجاهات الشعر العربي المعاصر**، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٨م.

٩.فاولي، والاس، **عصر السريالية**، المترجم: خالدة سعيد، دمشق: دار التكوين، ٢٠١١م.

١٠.نعوم طنّوس، جان، **السؤال الديني في شعر أدونيس**، بيروت–لبنان: دار النهضة العربية، ٢٠١٢.

١١. هشام محمد، عبدالله، **التجربة الشعرية العربية دراسة ابستمولوجية للسيرة الذاتية لشعراء الحديثة**، ط١، عمان: دار مجد لاوى للنشر والتوزيع، ٢٠١٤.

١٢. يحياوي، راوية، **شعر أدونيس "البنية والدلالة"**، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٨.

١٣.....، **من القصيدة إلى الكتابة؛ تحولات النص الشعري في الكتاب لأدونيس**، ط ١، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠١٥.

المراجع الفارسية

١٤. رزنيك رابرت وآخرون، **فيزيك**. المترجم: پاشايى راد، جلال الدين وآخرون، ط١، طهران، مركز نشر دانشگاهى، ١٣٨١.

١٥. ضاوي، احمد عرفات، **كاركرد سنت در شعر معاصر عرب (بدر شاكر السياب، خليل حاوي، نازك الملائكة، عبد الوهاب البياتي، أدونيس، صلاح عبد الصبور)**، المترجم: حسين سيدى، مشهد: دانشگاه فردوسى مشهد، ١٣٨٤.

١٦. عرب، عباس، **أدونيس در عرصه شعر ونقد معاصر عرب**، ط١، مشهد، دانشگاه فردوسى، ١٣٨٣ش.

الرسائل الجامعية

١٧. سپهرى نيا، محمد صديق، **الاتجاه الصوفي في شعر أدونيس وسهراب سپهرى**، جامعة العلامة الطباطبائي، كلية الآداب الفارسية واللغات الأجنبية، قسم اللغة العربية وآدابها، ١٣٩٠.

١٨. هنداوي، ولاء، **دراسة السّرياليّة في شعر أدونيس**، طهران، جامعة الخوارزمي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، ١٣٩٣.

١٩. أبو علي، رجاء، **الرمز والأسطورة في شعر أدونيس**، جامعة العلامة الطباطبائي، كلية الآداب الفارسية واللغات الأجنبية، قسم اللغة العربية وآدابها، ١٣٨٦.

المقالات

٢٠. روشنفكر وآخرون، أنوثة الأسطورة في شعر أدونيس، **مجلة اللغة العربية وآدابها**، السنة ١٣، العدد٢، ١٤٣٨، صص ٢٠٥-١٨٥.

٢١. الشرع، امل عبد الجبار كريم وكاظم شنباره، ايناس، الفضاء الزمكاني في القرية عند الشعراء الرواد، **مجلة جامعة بابل**، العلوم الانسانية، المجلد ٢٢، العدد ٦، ٢٠١٤، ١٦٩٦-١٦٨٣،

٢٢. صدام، وجدان صادق ، قصي ياسين، معتز، مستويات بناء الزمن في شعر بشار بن برد، **مجلة دراسات البصرة**، السنة التاسعة، العدد ١٧، ٢٠١٤، ٣٠١-٢٦٣.

٢٣. طالبي قره قشلاقي، جمال، تجليّات المكان، أبعاده ودلالاته في شعر "نزار قباني"، **مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية**، جامعة بابل، العدد ٣٨، نيسان ٢٠١٨م، ٤٥٣-٤٤١.

٢٤. طاهر، أمل حسن، الزمن النفسي في مقدمات المعلقات العشر، **مجلة الآداب**، جامعة واسط، كلية الآداب، العدد ١١٠، ٢٠١٤م، ٥٤٨-٥٢٩.

٢٥. أحمدي، محمد رضا وآخرون، **جماليات توظيف المرأة والحب في القصيدة الأدونيسية بين النظرتين الصوفية والسوريالية (تحولات العاشق نموذجا)**، مجلة اللسان المبين، السنة ٩، العدد ٣١، ١٣٩٧، صص ٢٣-١.